مجلة وعي للعلوم الإنسانية
Waai Journal for Hummanities
ISSN: 3104-9125
E-ISSN:3104-9117

مجلة وعي للعلوم الإنسانية

العدد الثالث/ ٢٠٢٦م، الصفحة: ١٠٥٧-١٠٦٨

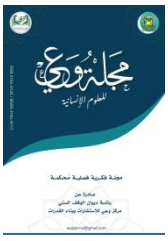

الإتجاه الديني في شعر كعب بن زهير (دراسة تحليلية)

Religious tendencies in the poetry of Ka'b ibn Zuhayr (an analytical study)

م.م. زهراء عباس فاضل عبدالله

الجامعة التقنية الوسطى –المعهد الطبي التقني / المنصور

zahraaabass@mtu.edu.iq

الكلمات المفتاحية

كعب بن زهير – الاتجاه الديني في الشعر – الشعر الاسلامي – بانت سعاد – المدح النبوي .

الملخص

يعد كعب بن زهير من أبرز الشعراء المخضرمين الذين عاشوا عصرين زمنيين مختلفين في القيم والمعتقدات (العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام)، ان أهمية دراسة الاتجاه الديني في شعره تأتي من كونه يمثل انموذجًا مميزًا للتحول الفكري الذي طرأ على المجتمع آنذاك بعد اعتناق بعض أفراده الإسلام وكيف انعكس هذا التحول على بنية القصيدة العربية، فقد انتقل كعب في شعره الإسلامي من النظرة التشاؤمية للحياة والموت التي كانت سائدة في شعره الجاهلي الى النظرة الايمانية التي تتمثل في التسليم والايمان لقضاء الله وقدره، كذلك فقد استبدل الشاعر فخره القبلي باعتزازه للانتماء للدين الإسلامي، لذلك فاننا نلحظ أن لغة شعر كعب بن زهير قد تأثرت بألفاظ القرآن الكريم من خلال ظهور مصطلحات مبتكرة مثل (العفو، التوبة، الهدى، المهاجرين، الأنصار) فلم يكن اسلامه مجرد تغيير في المعتقد، بل أحدث تغييرا في صناعة أغراضه الشعرية؛ لذا فهو يمثل تجربة فنية عميقة استطاع من خلالها أن يطوع أدواته خدمة للدين الجديد .

KEY WORD

(Kaab ibn Zuhair – Religious trend in poetry – Islamic poetry – Banat Suad – Prophetic praise).

Abstract

Ka'b ibn Zuhayr is considered one of the most prominent poets who lived through two distinct eras with different values and beliefs (the pre-Islamic era and the early Islamic era). The importance of studying the religious trend in his poetry stems from the fact that he represents a unique model of the intellectual transformation that occurred in society at that time after some of its members embraced Islam, and how this transformation was reflected in the structure of the Arabic poem. In his Islamic poetry, Ka'b moved from the pessimistic view of life and death that prevailed in his pre-Islamic poetry to a faith-based view characterized by submission and belief in God's decree and destiny. Furthermore, the poet replaced his tribal pride with pride in belonging to the Islamic faith. Therefore, we observe that the language of Ka'b in Zuhayr's poetry was influenced by the vocabulary of the Holy Quran through the emergence of innovative terms such as (forgiveness, repentance, guidance, emigrants, and helpers). His conversion to Islam was not merely a change of belief, but rather brought about a change in the crafting of his poetic themes. Thus, it represents a profound artistic experience through which he was able to adapt his tools to serve the new religion.

المقدمة:

يقصد بالاتجاه الديني هو التحول والتوجه الذي طرأ على بنية القصيدة وموضوعاتها نتيجة التحول الفكري الذي حدث بعد دخول الكثير من الشعراء الإسلام فنجد أن موضوعات الشعر تحولت من لوحات الغزل الماجن والهجاء المقذع ولوحات الخمر إلى لوحات الحكمة والزهد والاعتراف بالله عز وجل ونبيه والإقرار بالدعوة النبوية والإيمان بها "فقد جاء الإسلام بدعوةٍ وثورةٍ قلبت المفاهيم السائدة، وغيَّرت المثُل الرديئة الضارة، وأقام مكان ذلك عقيدةً وسلوكاً ونظام حياة، فنقل الإسلام العرب من عهدٍ وثني راكدٍ إلى عهدٍ إسلامي فيه حيوية وإيمان وتفكير، ممّا أدّى إلى التقاء التراث الجاهلي التليد، بالتراث الإسلامي الطريف، وامتزج كلٌ منهما بالآخر، وتأثّر بعضهما ببعض"[(١)]، فكان خير من مثل هذا التحول الشاعر كعب بن زهير إذ مثل تطور الشعر عنده مرحلة مهمة من مراحل

(١) ينظر: شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، يحيى الجبوري، بيروت مؤسسة الرسالة، ١٤١٩ه–١٩٩٨م، ص٣٥

تطور الشعر العربي في العصرين الجاهلي وصدر الإسلام، حيث كان من الشعراء الذين شهدوا التحول الكبير الذي جاء به الإسلام دينيًا واجتماعيًا. وقد كان لإسلام كعب بن زهير بعد هدنته مع الرسول (ﷺ) أثر كبير في تحول موضوعات شعره نحو القيم الدينية والتعبير عن الانتماء للدين الإسلامي،مما يجعل هذا الإنتماء مادة خصبة للتحليل والدراسة .وبهذا فأن هذه الدراسة تسعى إلى تحري الاتجاه الديني في شعر كعب بن زهير، من خلال تتبع أبياته الشعرية وتحليلها والبحث عن المضامين الدينية التي وظفها في قصائده والتي تعكس تأثير العقيدة الإسلامية على بنية النص الشعري لديه.

التمهيد:

يُعدّ الشعر العربي منذ بداياته المرآة الصادقة التي تعكس حياة العرب في شتى جوانبها، فقد تناول الشعراء موضوعات عدة تتعلّق بالحرب والسِلم، والفخر والهجاء، والغزل والرثاء، والدين والعبادة، وغيرها من القيم التي شكّلت وجدان العربي وثقافته.

ومع بزوغ فجر الإسلام، لم يكن الشعر بمنأى عن التأثر بهذه الرسالة الجديدة، بل تحوّل من أداة تفاخر بقبيلة أو شخصية إلى وسيلة لنشر الدعوة والدفاع عنها وتمجيد رموزها، مما أدّى إلى نشوء نوع جديد من الشعر عرف بـــ "الشعر الإسلامي" .

اذ لجأ الشاعر في هذه الحقبة إلى (الحرص على تجنب الأغراض الجاهلية التي تثير الأحقاد وتخل بمفاهيم القيم والأخلاق، وتدعو للتمسك بالعصبية القبلية على حساب تماسك الأمة الإسلامية، الى جانب التزامه بفكر الأمة الإسلامية وأخلاقها، ومقومات نهضتها والدفاع عنها، والتعبير عن الأطر الكلية في بناء الأمة، العدالة والمساواة والتكافل الاجتماعي والجهاد وغيرها من المبادئ الجزئية المكونة لهذه الأطر وجعلوا الشعر الإسلامي انما يقاس بما يحمل من تأثر بالغ بالقرآن الكريم في فكره وصوره ولفظه ومعانيه، كما يقاس أيضًا بمدى سهولته ووضوحه، وما يحمل من رقة ولين ودائل تحضر المسلمين وما يحمل من واقعية وصدق وترابط موضوعي وفني)[١] .

وفي هذا السياق، يبرز من بين الشعراء اسم الشاعر كعب بن زهير، الذي عاش تجربة فريدة من نوعها؛ فكما هو معروف كان الشاعر يقف موقفًا معاديًا للإسلام في بداياته، ثم تحوّل إلى أحد شعراء

(١) شعراء صدر الإسلام وتمثيلهم للقيم الاجتماعية، وفاء فهمي السنديوني : ٣٧٦

الدعوة بعد إسلامه، وألقى قصيدته المشهورة "بانت سعاد" بين يدي النبي محمد (ﷺ)، ولا شك أن هذا التحول الديني ترك أثراً واضحاً في شعره، من حيث المضمون والرؤية والأسلوب.

وتتجلى أهمية هذا البحث في كونه يسلّط الضوء على الاتجاه الديني في شعر كعب بن زهير، ويبين المظاهر الإيمانية التي بدأت تظهر بوضوح في شعره بعد إسلامه– فهو أهم شعراء عهد النبوة الذين كانوا ينظمون الشعر دفاعًا عن الرسول(ﷺ) والاشادة بالإسلام وتبيان محاسنه ومن الذي أطلق عليهم شعراء الطبقة الأولى في شعر الدعوة [١]، ورصد التحول النفسي والفكري الذي عاشه الشاعر، وانعكاس ذلك على بنيته الشعرية.

لقد هذب الإسلام الشعراء وألفاظهم اذ (منعهم من أن يلموا منه الا بما عف لفظه وشرف معناه، من أجل ذلك تحولوا عن معانيهم الشعرية التي أجادوا وأبدعوا فيها إلى المعاني التي أقرها الدين الحنيف ويرتضيها)[٢] .

ولأن شعر كعب بن زهير يمثل أحد أهم الشواهد على تفاعل الشعر مع الدين في صدر الإسلام، فإن دراسته تُسهم في فهم أعمق للتداخل بين الفن والإيمان.

كعب بن زهير:

هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني، ينتمي إلى قبيلة مُزَيْنَة وهي من القبائل التي سكنت الحجاز، ولكنهما يوضعان في عداد غطفان حيث عاش زهير مع بنيه بين أخواله بني مرة الذبيانيين وقد تلقن كعب الشعر عن أبيه، مثله في ذلك مثل أخيه بجير ومثل الحطيئة، وُلد في الجاهلية، وكان والده من أبرز شعراء المعلقات، ومن فحول الشعراء.

لذلك نجد أن كعبًا نشأ في بيت شعرٍ وفصاحة، فشبَّ شاعرًا منذ صغره، وسار على نهج والده في نسج القصيدة الجاهلية ذات البناء المعروف: اللوحة الغزلية، واللوحة الطللية يليها الغرض الأساس الذي نظم الشاعر القصيدة من أجله، ومع مجيء الإسلام، كان كعب في صفوف المناهضين له، كما وصلنا من المصادر القديمة فقد ورد أنه هجا النبي محمدًا (ﷺ)، أما أخوه و بجْير فقد أسلم قبله، فكتب إليه كعب يُعرض به، مما أثار حفيظة المسلمين، حتى أُهدروا دمه.

---

(١) ينظر: دراسات في الأدب العربي على مر العصور، عمر الطيب الساسي :٣١

(٢) تاريخ الأدب في صدر الإسلام، مصطفى السيوفي :٧٧

إلا أن كعبًا بعد مدة تلقى رسالة من أخيه بجير يخبره بأن النبي صلى الله عليه وآله قد هم بقتل كل من يؤذيه من شعراء المشركين وأثرت به الرسالة فتوجّه على إثرها إلى المدينة متخفيًا، ودخل على الرسول (ﷺ) وجلس بين يديه قائلاً: إن جاءك كعب بن زهير تائبًا مسلمًا فهل تقبل توبته وكانت إجابة النبي (ﷺ) نعم بعد ذلك أعلن إسلامه، ثم أنشد قصيدته "بانت سعاد" في حضرة النبي (ﷺ)، فعفا عنه وقَبِل توبته، وأهداه بردته الشريفة [١] .

إذاً هذا التحوّل لم يكن خوفًا كما يظن البعض، بل هو نابع عن تأثر عميق في وجدان كعب، بعد رسالة أخيه وبداية لملامح إيمانه وظهر ذلك جليًا في شعره اللاحق، حيث برزت نبرة الخشية من الله، ورجاء رحمته، والثناء على النبي، والدعوة إلى الإسلام.

المضامين الدينية في شعر كعب بن زهير:

تتجلى في شعر كعب بعد إسلامه العديد من القيم الإسلامية، مثل التوبة، والمدح النبوي، والخوف من الله، والحديث عن الحساب والآخر، ويعد هذا التحول دليلاً على صدق انخراط الشاعر في المنظومة الإسلامية وتوجهه الديني فكريًا وعاطفيًا إذ أصبحت موضوعاته أقرب إلى الروح الدينية، فظهرت في شعره لمحات العقيدة والقيم الأخلاقية الإسلامية كما هو الحال لدى أغلب الشعراء في تلك الحقبة بعد نزول القرآن إذ تطرق لذلك الدكتور شوقي ضيف في كتابه تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي: «ومن آثار القرآن على اللغة أنه حول العربية إلى لغة ذات دين سماوي باهر وأحل فيها معاني لم تكن تعرفها من قبله مثل الفرقان والكفر والإيمان والإشراك والإسلام والنفاق والصوم والصلاة والزكاة، وهذب اللغة من الحوشية ومن اللفظ الغريب، فأقامها في هذا الأسلوب المعجز من البيان والبلاغة »[٢] .

لذا نجد أن شعر كعب قبل الإسلام اتسم بسمات الشعر الجاهلي في التشكيل والبنية والمضمون، حيث كان يهجو، ويتغزّل، ويفاخر، دون أي رادع سواء أكان دينيًا أو خُلقيًا، وكان كثير العداء للإسلام في بداياته، ما جعله يخرج شعرًا قاسيًا بحق المسلمين.

---

(١) ينظر : طبقات فحول الشعراء ٩٩، الشعر والشعراء ١٤٢/١، شرح ديوان كعب بن زهير : 5 ،العمدة، ابن رشيق القيرواني ١٤-١٥،تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي شوقي ضيف/٨٣

(٢)تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي، شوقي ضيف: ٣٤/٣٣

أما بعد إسلامه، فقد شهد شعره تحولًا ملحوظًا، إذ بدأت تغلب عليه نبرة التوبة والخشية من الله، ومدح النبي (ﷺ)، والثناء على الإسلام، إضافة إلى تصويرٍ واضح ليوم القيامة والحساب، وهو ما سيتم ملاحظته عند دراسة الأبيات الشعرية.

يمثل شعر كعب بن زهير بعد إسلامه تحولًا حقيقيًا في بنية القصيدة العربية من حيث المضمون، حيث أصبح الخطاب الديني حاضرًا بقوة، وبرزت المضامين الإسلامية في عدد من القصائد، خصوصًا تلك التي نظمها بعد دخوله الإسلام، وأبرزها قصيدته "بانت سعاد"، ولكن المظاهر الدينية لا تقتصر على هذه القصيدة، بل تمتد إلى أبيات أخرى أقل شهرة لكنها عميقة في التعبير عن التحوّل الإيماني، وهو ما سيتم التطرق إليه .

ومن أشهر الأبيات التي نبتدأ بها ما قالها كعب بن زهير والتي تتضمن طابعًا دينيًا خالصًا[١]:

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يومًا على آلة حدباء محمولُ

فهذا البيت من أكثر الأبيات شهرة في شعر كعب وهو من ضمن قصيدة البردة التي ألقاها بحضرة النبي صلى الله عليه وآله ويشير فيه إلى حتمية الموت، وأن مصير الإنسان الفناء وهي فكرة دينية خالصة تؤكد أن كل ما في الدنيا زائل ومصيره الفناء وتحث على ضرورة الاستعداد للآخرة .

ثم يكمل الشاعر لمحته الدينية الأولى من القصيدة ذاتها إذ يقول [٢]:

أنبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة القرآن فيها مواعيظ وتفصيل

نجده في البيت الأول كرر لفظة رسول الله مرتين في الصدر والعجز وهي دلالة واضحة لاعتراف الشاعر بنبوة الرسول (ﷺ) وهو جوهر التوبة التي جاء بها كعب إذ بدأ قصيدته يصور

(١))– ديوان كعب بن زهير : ١١٤

(٢)المصدر نفسه : ١١٤

مشاعر الخوف التي تمثلت في كلمة (نبئت) وانتهت بمشاعر الطمأنينة التي تمثلت بكلمة (مأمول) وهذا انتقال شعوري من التوتر والخوف إلى الطمأنينة والأمان.

أما في البيت الثاني فقد انتقل الشاعر إلى أسلوب الاستعطاف عبر كلمة (مهلاً) إذ يطلب من حضرة النبي التروي في معاقبته مقرًا بمنزلته مرةً أخرى عبر قوله: (الذي أعطاك نافلة القرآن) فهو دليل على المكانة الربانية والفضل العظيم الذي خص به الله نبيه الكريم؛ لذى نرى الشاعر يتوسل بأعظم ما يملكه الرسول وهو القرآن فجاء اعتذاره محملاً بطابع إيماني متجاوزاً به البعد الشخصي، فهذه الأبيات هي خير دليل على بداية الاتجاه الديني الذي اتجهه الشاعر في مضامين قصائده.

ومن مظاهر الإيمان الأخرى التي تجلت واضحة في شعر كعب بن زهير قوله[١]:

أعلم أني متى ما يأتني قدري فليس يحبسه شح ولاشفق

بينا الفتى معجب بالعيش مغتبط إذا الفتى للمنايا مسلم غلق

والمرء والمال ينمى ثم يذهبه مر الدهور ويفنيه فينسحق

كالغصن بينا تراه ناعمًا هدبًا إذ هاج وانحت عن أفنانه الورق

تميزت الأبيات الشعرية بالدقة اللغوية والحكمة العميقة إذ تجلت بها فلسفة التوكل والرضا فكعب هنا مؤمن بالقدر وأنه إذا جاء لا يمكن لأحد أن يؤخره، فلا بخل الناس ولا كرمهم ممكن أن يحبس ما كتبه الله وهو تسليم واضح بقضاء الله وقدره مبيناً لاحقًا أن الإنسان وماله ينموان ويزدادان معًا ؛ لكن كل مافي الحياة مصيره الزوال، ونلاحظ في هذه الأبيات أن الشاعر يقدم لنا نظرة زهد تأملية يدعو بها الإنسان إلى عدم الانغرار في هذه الدنيا .

ومن الأبيات التي جاءت تحمل بعض القيم الإسلامية قوله [٢]:

رحلت إلى قومي لأدعوهم جلهم إلى أمر حزم احكمته الجوامع

سأدعوهم جهدي إلى البر والتقى وأمر العلا ما شايعتني الأصابع

---

(١)ديوان كعب بن زهير : ١٠٣

(٢)المصدر نفسه: ٨٤

فالشاعر يعود إلى قومه لأمر مهم وصفه بالحازم والمحكم وهو دلالة على أن ما سيدعوهم إليه يتصف بالحكمة والعقل مبيناً في البيت الذي يليه طبيعة هذه الدعوة، فهو سيدعوهم إلى البر والتقوى أي إلى الخير وطريق الحق وسيبذل ما بوسعه وهو دليل على صدق النية وقوتها.

وعلى غرار هذه الأبيات التي بينت بوضوح تحول كعب الديني نراه يقول[١]:

إن يفن ماعندنا فالله رازقنا ومن سوانا ولسنا نحن نرتزق

هنا تعكس الأبيات نظرة كعب تجاه الحياة وزهده مبيناً أن الله هو الرزاق بيده رزق عباده وهو الغني الحميد، فقد استخدم الشاعر في بداية صدر البيت أسلوب الشرط (إن يفن) أي إذا زال مانملك، ثم انتهى الصدر نفسه بجواب للشرط (فالله رازقنا) بمعنى أن الله هو المتكفل برزقنا، وهذه السرعة في الإتيان بجواب الشرط من قبل الشاعر تمثل الثقة المطلقة بالله التي يمتلكها الشاعر.

ومن أبيات الشاعر الأخرى التي تميزت بالنزعة الفلسفية والإيمان بما كتبه الله قوله[٢]:

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني سعي الفتى وهو مخبوء له القدر

يسعى الفتى لأمور ليس يدركها والنفس واحدة والم منتشر

والمرء ماعاش ممدود له أمل لاتنتهي العين حتى ينتهي الأثر

فكعب هنا يبين أن العجب الحقيقي يكمن هو في شدة سعي الإنسان وراء تحقيق مطالبه مع أن مصيره مكتوب لايعلمه سوى الله تعالى، نستنتج من هذه الأبيات أن الشاعر أراد إبراز التناقض في حياة الإنسان فهو يسعى ويجتهد ويخطط لكن الأمر الأخير ومصيره الحقيقي لايعلمه إلا الله وهذا مايثير العجب.

ومن موضوعات الشعر الأخرى التي أحدثت تغيراً واضحًا في شعر كعب بن زهير هي الفخر إذ (نراه في شعره الجاهلي مفاخرًا متوعدًا مهددًا حتى إذا اسلم أخذت نفسه تصفو، وأخذ يستشعر معاني الإسلام الروحية، ومادعا إليه من الخلق الفاضل)[١].

(١) ديوان كعب بن زهير : ١٠٤
(٢) المصدر نفسه : ٧٧

وإذا أجرينا مقارنة شعرية في شعر كعب قبل الإسلام نجده في مجال الفخر متعصبًا للقبيلة ومفاخراً بأمجادها حين يقول [٢]:

شربت مع المأمون كأسًا رويةً فانهلك المأمون منها وعلكا

هنا نجد كعبًا يخاطب أخاه بجير متهكمًا وساخرًا من تحوله ودخوله للدين الإسلامي مستهزئًا بالإسلام ومن اعتنقه .

ونراه يفخر بنفسه وبقبيلته قائلاً[٣]:

إني امرؤ اقني الحياء وشيمتي كرم الطبيعة والتجنب للخنا

من معشر فيهم قروم سادة وليوث غاب حين تضطرم الوغى

فهو من سلالة الأشراف وهم سادة الأقوام مشبهاً قومه بالليوث في ساحات الحروب.

كذلك يفخر بأبيه قائلاً[٤]:

أنا ابن الذي قد عاش تسعين حجة فلم يخز يومًا في معد ولم يلم

وأكرمه الأكفاء في كل معشر كرام فإن كذبتني فاسأل الأمم

أنا ابن الذي لم يخزني في حياته ولم أخزه حتى تغيب في الرجم

فأعطى حتى مات مالاً وهمة وورثني إذ ودع المجد والكرم

يفتخر الشاعر بأبيه الذي عاش مايقارب التسعين عامًا كان فيها كريمًا وشريفًا محترمًا بين قومه والناس جميعًا فهذا الأب مثال في الكرم والعطاء حتى وفاته وهذا ماورثه بعده.

أما بعد الإسلام فنراه مفتخرًا بالمهاجرين قائلاً[١]:

(١)تأريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي :٨٨
(٢) ديوان كعب بن زهير : ١٧
(٣) المصدر نفسه: ٤٢
(٤)المصدر نفسه : ١٣٧

شم العرانين أبطال لبوسهم من نسج داود في الهيجا سرابيل

بيض سوابغ قد شكت لها حلق كأنها حلق القفعاء مجدول

تعد هذه الأبيات أشهر ماقيل في شعر الفخر إذ يصف كعبًا شجاعة المهاجرين مازجًا الطابع الجاهلي بالطابع الإسلامي في هذه الأبيات فالشاعر يصف نفسهم التي تأبى الذل عبر قوله:(شم العرانين) وهي كناية عن الترفع والعزة مبيناً أن الدروع قد أصبحت جزءًا منهم مشبهًا إياهم كأنهم كتلة واحدة واستخدم الشاعر الألفاظ (الهيجا، شكت، مجدول) والتي تتسم بالقوة والخشونة لتناسب مايصف من جو المعركة وأدواتها، وهنا نجد تحولاً من الفخر القبلي والفردي إلى الفخر بمجموعة لاتنتمي إلى قبيلة بعينها.

أما في شعر المدح نجده يقول في قصيدته المشهورة « بانت سعاد »[٢]:

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

فهو من أشهر أبيات المديح النبوي في الأدب العربي كما أنه نقطة التحول في حياة الشاعر من مهدور الدم إلى مرفوع الرأس بنيله البردة الشريفة،إذ بدأ الشاعر البيت بأسلوب التوكيد (إن) وهو إقرار تام واعتراف واضح بنبوة الرسول (ﷺ) مشبهًا إياه بالنور الذي يكشف الظلمات حاذفًا أدوات التشبيه ليخبرنا أن الرسول هو النور ذاته ثم قابلها في عجز البيت بالسيف للدلالة على القوة والعدل؛ لذا فأن هذا البيت أصبح نموذجًا يحتذى حذوه في المديح النبوي فهو ليس مجرد مديح بل وثيقة إيمان جمع فيها بين النبوة (النور) والقوة (مهند).

ومن أمثلة المديح الأخرى قول الشاعر في مديح المهاجرين[٣]:

يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم ضرب إذا عرد السود التنابيل

يصف كعب شجاعة وثبات المهاجرين حين المعركة فهم يمشون بهدوء وثقة نحو العدو مشبهًا إياهم بالجمال البيضاء لايفرون خوفًا مبيناً ترفعهم عن الجبن والخوف.

(١) ديوان كعب بن زهير : ١١٥-١١٦
(٢) المصدر نفسه: ١١٥
(٣) ديوان كعب بن زهير : ١١٦

نستنتج من ذلك أن الشعراء بدأوا في تلك الحقبة الزمنية بتطويع شعرهم لما حدث من تغيير وقد أشار الى ذلك عبد القادر القط مبيناً أن سبب التحول في الشعر الإسلامي هو ما كان من تطور تقتضيه بالضرورة طبيعة المجتمع الجديد لمن لم يتصل بالدعوة اتصالاً مباشرًا فضلًا عن نصرة الدين والمشاركة في وقائع الدعوة الإسلامية وهكذا كان شعر هؤلاء الشعراء خليطًا من القديم والجديد [١] .

الخاتمة:

لقد كشفت دراسة تحليل شعر كعب بن زهير عن تحول واضح في خزانته الشعرية بعد إسلامه، إذ غلب على شعره الطابع الديني الذي يعكس مدى تأثره بالعقيدة الإسلامية، وبرزت في شعره مضامين جديدة مثل الإيمان بالقرآن، والتوبة، والزهد، والرجاء.

وعلله يحيى الجبوري قائلاً: (لقد جاء الإسلام لينقل العرب من عهد وثني راكد محافظ إلى عهد إسلامي فيه حيوية وإيمان وتفكير) [٢] .

وهو مايظهر جليًا في شعر كعب بن زهير إذ كان يهجو، ويتفاخر، ويتغزل، دون أي التزام ديني، وكان شديد العداء للإسلام في بداياته، ما جعله يقول شعرًا قاسيًا بحق المسلمين.

أما بعد إسلامه، فقد شهد شعره تحولًا ملحوظًا، إذ بدأت تغلب عليه الحكمة والعقلانية والزهد ونبرة التوبة ومخافة الله، ومدح النبي (ﷺ)، والثناء على الإسلام، إضافة إلى تصويرٍ واضح للآخرة والحساب .

وهي تمثل نقطة تحول من صنعة الهجاء إلى حكمة الاعتذار، مع البقاء والحفاظ على ماتوارثه من أبيه خصوصًا في شعر الحكمة مع إضفاء مايتناسب من قيم أخلاقية توافق قيم الإسلام فهو لم يتخلى عن أدواته الفنية بل طوعها لخدمة الدين الجديد، فاستبدل الفخربالقبيلة بالفخر بالرسول والإسلام والمهاجرين، واستبدل لغة التهديد بلغة المغفرة وطلب العفو.

(١) ينظر: في الشعر الإسلامي والأموي، عبد القادر القط،٦٧

(٢) شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه :٣٥

المصادر والمراجع

-الأغاني، ابي الفرج الأصفهاني، تحقيق احسان عباس، إبراهيم السعافين، بكر عباس، دار صادر،بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣ه-٢٠٠٨م.

-تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي، شوقي ضيف، دار المعارف،الطبعة الحادية عشرة .

-تاريخ الأدب في صدر الإسلام، مصطفى السيوفي،القاهرة، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، ٢٠٠٨.

-دراسات في الأدب العربي على مر العصور، عمر الطيب الساسي، جدة، دار الشروق، الطبعة الثانية عشرة، ١٤١٣ه-١٩٩٣م.

-ديوان كعب بن زهير، السكري، شرح ودراسة د. مفيد قميحة،الطبعة الأولى، دار الشواف للطباعة والنشر، ١٤١٠ه-١٩٨٩.

-شرح ديوان كعب بن زهير، السكري، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٥ه-١٩٦٥م.

-شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، يحيى الجبوري، بيروت مؤسسة الرسالة، ١٤١٩ه-١٩٩٨م.

-الشعر والشعراء، ابن قتيبة، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣ه.

-شعراء صدر الإسلام وتمثيلهم للقيم الاجتماعية، وفاء فهمي السنديوني، القاهرة، مطابع كمبيوجرافيكارت سنتر، ١٩٩٥م.

-طبقات فحول الشعراء ابن سلام الجمحي، جدة، دار المدني للطباعة، د.ت.

-العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٤ه.

-في الشعر الإسلامي والأموي، عبد القادر القط، مكتبة الشباب، ١٩٧٦.